

التمثيل الدبلوماسي في عهد ملوك الطوائف
(السفارات والمعاهدات مع ملوك النصارى) (422-478هـ/1031-1086م)

Diplomatic Representation in the Era of the Taifa King: Embassies and
Treaties with Christian Monarchs (422-478) AH/1031-1086 AD

[10.35781/1637-000-132-006](https://doi.org/10.35781/1637-000-132-006)

د. علي محمد شايع القفري

ملخص:

- الدور البارز والمهم لملوك الطوائف في اختلال
الخارطة الديمغرافية السياسية للخارطة الأندلسية.
- الخلفية التاريخية لنشأة ملوك الطوائف.
- الدور الكبير لبعض ملوك النصارى في تأجيج
الصراع بين ملوك الطوائف.
- الكلمات المفتاحية: الأندلس- ملوك الطوائف-
النصارى- السفارات.

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة فهم أوضاع
الأندلس خلال فترة حكم ملوك الطوائف وعلاقتهم
مع ملوك النصارى في القرن الخامس الهجري، وما
ترتبت عن تلك العلاقات من سفارات ومعاهدات،
وكيف ساهمت في تغيير الخارطة الجو سياسي، وقد
توصلت الدراسة إلى الآتي:

Abstract:

This study aims to understand the
conditions of Andalusia during the reign
of the Taifa Kings and their relationship
with the Christian kings in the fifth
century AH, as well as the resulting
embassies and treaties that contributed
to changing the political landscape.

It concludes the following:

- The prominent and important role of
the Taifa Kings in disrupting the

demographic and political landscape of
Andalusia.

- The historical background of the
emergence of the Taifa Kings.

- The significant role of some Christian
kings in fueling conflict among the Taifa
Kings.

- **Keywords:** Andalusia, Taifa
Kings, Christians, embassies.

مقدمة:

قد تُعالج هذه الدراسة العلاقة السياسية بين ملوك الطوائف والنصارى من العشرينيات حتى سبعينيات القرن الخامس الهجري، والاختلالات التي طرأت على الخارطة الجو سياسية في الأندلس، وليس هدفها تتبع نشأة حكم ملوك الطوائف، وذلك من خلال طرح التساؤلات التالية:

- كيف ساهمت الصراعات بين ملوك الطوائف في تغيير الخارطة الجو سياسية في الأندلس؟
- ماهي الأسباب التي ساهمت في تكوين سفارات، ومعاهدات بين حكام ملوك الطوائف، والنصارى ومامدى نجاحها؟

ومن هنا يمكن القول: بأن طرح تلك التساؤلات من شأنها أن تؤكد على دور السفارات، والمعاهدات في العمق السياسي في تاريخ الأندلس، واختلال ميزانها الديموغرافي السياسي، ومن خلال ذلك تم تقسيم الدراسة لعدة عناوين رئيسة عن تلك السفارات والمعاهدات، وكل عنوان سيتم استخدام المنهج التاريخي الوصفي، والتحليلي لهذه الدراسة وهي كالاتي:

- سفارة ومعاهدة المعتضد مع فرديناند الأول (Fernando I) ملك قشتالة.
- معاهدة المعتمد بن عباد مع الفونس السادس ضد عبد الله بن بلقين ملك غرناطة.
- معاهدة المعتمد بن عباد مع رامون برنجير الثاني (Ramon Berenguer II) (468-489هـ/1076-1092م) حاكم مدينة برشلونة.
- سفارة الفونس السادس برئاسة السيد القمبيطور إلى المعتمد بن عباد.
- سفارة الفونس السادس برئاسة ابن ساليب اليهودي إلى المعتمد بن عباد.
- سفارات ومعاهدات ملوك غرناطة مع ملوك النصارى.
- السفارات والمعاهدات في عهد ملوك بني ذي النون مع ملوك النصارى.
- سفارة ملوك الطوائف إلى الفونسو السادس.
- سفارة ومعاهدة حاكم بلنسية مع الفونسو السادس ضد حاكم سرقسطة.
- معاهدة القادر بن ذي النون مع الفونس السادس للاستيلاء على مدينة بلنسية.
- سفارات ومعاهدات حكام مملكة سرقسطة مع ملوك النصارى.
- سفارات ومعاهدات حكام مملكة سرقسطة مع ملوك النصارى.

تمهيد:

أحدثت الحروب الأهلية التي وقعت في بلاد الأندلس بين خلفاء بني أمية الأواخر، وبعد سقوط الدولة العامرية، والتي تنسب إلى الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر بإخلال الخارطة الديموغرافية لبلاد الأندلس، وانقسامهم ما بين بربر، وعرب، وصقالبة، واستعان كل منهما بملوك النصارى ضد الآخر ليعينه على تولي منصب الخلافة، وتسابق الجميع إلى طلب العون من النصارى بإمدادهم بالرجال والسلاح، وكونوا لأنفسهم ممالك انتشرت بطول البلاد وعرضها، وبدأ القوي يبطش بالضعيف، وحاول كل منهم عقد صداقات، ومعاهدات مع الجار الأقوى، ودفع الجزية لملوك النصارى لكي يناصروهم فأصابهم بعد ذلك الوهن.

ونتيجة لذلك؛ برزت بعض الدويلات منها على سبيل المثال: في الجنوب مملكة غرناطة، ومدينة مالقة البربرية، والتي تزعمتها أسرة بني حمود بقيادة علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن عبيد الله بن إدريس وحلفائهم من بني زيري زعماء قبيلة صنهاجة وعلى رأسهم حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي الذي كان يعتبر من كبار زعماء البربر ومؤسس دولة صنهاجة وحكم في مدينة غرناطة، وتوفي سنة (ت 428هـ/1037م).

أما في الجنوب الغربي دولة بنو عباد العرب في مدينة إشبيلية، والذي أسسها إسماعيل بن عباد (ت 433هـ/1042م) الذي استغل أحد اث الفتنة، وفي وسط الأندلس أنشئت دولة بنو النون الهوارية البربرية في طليطلة على يد إسماعيل بن ذي النون الذي أستولى عليها ودخلها سنة (427هـ/1036م)، وكانت عاصمتهم مدينة طليطلة، وأما العامريون، وعلى رأسهم خيران الصقلبي العامري من فتيان الدولة العامرية، فقد سيطروا على مدن شرق الأندلس منها مدينة بلنسية، ومدينة مرسية بينما مدينة طرطوشة، فقد سيطر عليها مقاتل الصقلبي، وهو أحد الفتيان الصقالبة من موالي المنصور محمد بن أبي عامر، وظل يحكمها حتى سقطت بيد عماد الدولة أحمد بن المستعين سنة 453هـ/1061م، وأما مدينة المرية، فقد سيطر عليها دولة بني صمادح التجيبين، وفي مدينة سرقسطة، فقد سيطر عليها بني هود الجذاميين، ويرجع أصلهم إلى قبيلة جذام اليمنية، وأول ملوكهم سليمان بن محمد بن هود الجذامي الملقب بالمستعين، وأسرة بني الأفطس سيطروا على مدينة بطليوس، وكذلك أسرة بني جهور حكموا في مدينة قرطبة⁽¹⁾.

(1) ابن شهيد، أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك الأندلسي (ت 426هـ): رسالة التوايع والزوايع، تحقيق/ بطرس البستاني، مكتبة صادر، بيروت 1951م، ج1، ص13. ابن عذاري، عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م): كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق/ ج. س. كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج3، ص164. 165. مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق/ لويس مولينا، معهد ميغويل آسين، مدريد، 1983م، ص204. شريفة محمد عمر دحماني: العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربر في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف القرن الخامس الهجري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2006م، ص112. 113.

وكل ملوك الطوائف الذين تم ذكرهم عملوا على إرسال السفارات إلى ملوك النصارى، وعقد تحالفات، ومعاهدات معهم، وسوف يتناولهم الباحث كلاً على حدة مع تفاوت الفترة الزمنية لكل منهما.

أولاً: سفارات ومعاهدات ملوك الطوائف مع ملوك النصارى:

اتسمت العلاقات بين ملوك الطوائف أنفسهم بالعدائية؛ مما اقتضت طبيعة الحال والجوار مع ملوك النصارى بوجود علاقات دبلوماسية، وسياسية، وصداقة فيما بينهم، وكذلك كان يوجد بينهم علاقات عدائية؛ فكان ملوك الطوائف يستجدون بملوك النصارى في حروبهم ضد بعضهم البعض، فعلى سبيل المثال كان ملوك بني عباد الذين حكموا مدينة إشبيلية يظهرون الكرم، والحفاوة في استقبال سفارات مملكة قشتالة التي تضم مدينة ليون في شمال الأندلس ويرسلون لملوكها الملابس الفاخرة، والحلي، والتحف الفنية، والهدايا التي كان يقدمها ملوك بني عباد بشكل عام لتلك السفارات، ⁽²⁾ ومنها:

1- سفارة ومعاهدة المعتضد مع فرديناند الأول (Fernando I) ملك قشتالة:

عمل فرديناند الأول بن شانجة الثالث، والملقب بالعظيم (426.458هـ/1035.1065م) ملك مملكة قشتالة وموحد الإمارات النصرانية، ويعتبر من ملوك النصارى الأقوياء الذي سيطر على بعض المدن الأندلسية؛ حيث مد نفوذه على كل من مدينة بطليوس، وسرقسطة، وطليطلة حتى خضعوا له، والتزموا له بدفع الجزية⁽³⁾، وبعد ذلك بدأ يفكر في السيطرة على أراضي مدينة إشبيلية التابعة لبني عباد في عهد محمد بن عباد المعتضد بالله (433.464هـ/1042-1071م، وفي سنة 455هـ/1063م سير قواته، وأحرق بعضاً من قراها، فشعر المعتضد بن عباد بعجزه عن مواجهة الملك النصراني فرديناند الأول؛ فما عليه إلا أن يحذو حذو بقية ملوك الطوائف بأن يدفع الجزية للملك النصراني، فبعث المعتضد بسفارة في تلك الفترة إلى فرديناند الأول بزعامة المستعرب ششند (Sisnand) كان من النصارى المستعربين وقع أسيراً في يد القاضي ابن عباد في إحدى الغارات على منطقة قلميرة فاقتاده أسيراً إلى إشبيلية، ونشأ في قصره، ولما تولّى المعتضد بن عباد اكتشف مواهبه فعيّنه مستشاراً له، وكان محملاً بالهدايا الثمينة لكي يفاوض فرديناند ويعقد معه معاهدة سلام، وتم الاتفاق بينهما بعدم السيطرة على

(2) ابن الكردبوس، أبا مروان عبد الملك (ت681هـ/1282م): تاريخ الأندلس، تحقيق العبادي، صحيفة معهد الدراسات، مدريد، 1966م، ص77. ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة/ السيد عبد العزيز سالم، وآخرون، مراجعة/ لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012م، ص302.

(3) ابن بسام، أبو علي الحسن علي الشنتريني (ت460هـ/1067م): النخبة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق/ إحسان عباس، دار العربية للكتاب، تونس، 1981م، ق4، مج4، ص102. دوزي: المسلمون في الأندلس، ترجمة/ حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1995م، ج3، ص79، 80.

أراضي المعتضد بن عباد مقابل دفع جزية سنوية، وأن يقوم المعتضد بتسليم رفات القديسة خوستا سان إسيديرو (San Isidoro) التي استشهدت في العصر الروماني فوافق المعتضد على ذلك⁽⁴⁾. يتضح لنا من خلال ما تم طرحه أن أوضاع الأندلس قد تبدلت فبدلاً من أن كان ملوك الممالك المسيحية يؤدون الجزية لحكام الأندلس الأقوياء مثل الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم ومن بعدهما الحاجب المنصور بن أبي عامر، انقلبت الأوضاع، وصار ملوك الطوائف هم الذين يدفعون الجزية لملوك الممالك المسيحية مقابل السلام وحمايتهم. وبعد الاتفاق أرسل فرديناند الأول في سنة 455هـ/1063م سفارة مكونة من كبار رجال الدين على رأسهم القديس إسيديرو، والقديس الفيتوس مطران ليون، وأوردينو مطران أستورجا للبحث عن رفات القديسة خوستا سان إسيديرو، وذهب المعتضد بنفسه لتوديعها، وأمر بتغطية التابوت بالديباج المطرز، واستمر المعتضد في دفع الجزية حتى وفاته سنة 464هـ/1071م.⁽⁵⁾

2. معاهدة المعتمد بن عباد مع الفونس السادس ضد عبد الله بن بلقين ملك غرناطة:

تولى حكم إشبيلية المعتمد بن عباد بعد وفاة والده المعتضد بن عباد (464-484هـ/1071-1091م)، في الوقت نفسه كان الفونس السادس التي حكمها من سنة (457-502هـ/1065-1109م) هو ابن فرديناند ملك قشتالة وليون حكم قشتالة بعد أخيه شانجة، وقد استطاع أن يوحد ممالك ليون وقشتالة وجليقية تحت سلطانه، والذي انتهج سياسة أبيه فرديناند في حركة الاسترداد، والتخلص من المسلمين؛ حيث تبادلت السفارات والمعاهدات فيما بينهما، إذ كانت تأتي سفارتين من قبل الفونس إلى المعتمد بن عباد الأولى لأخذ الجزية، والأخرى لأخذ الهدايا والعطايا، وكان المعتمد بن عباد يستقبلها بكل حفاوة وترحيب ويغدق عليهم بالأموال، والهدايا خضوعاً منه للفونس السادس.⁽⁶⁾

وكان ملوك الطوائف يتسابقون على عقد معاهدات مع الفونس السادس ضد بعضهم لكي يأمنوا غدره فعلى سبيل المثال صراع المعتمد بن عباد حاكم مدينة إشبيلية مع عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري الصنهاجي آخر ملوك غرناطة في عصر ملوك الطوائف، وقد نفاه يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين إلى مدينة إغمات بالمغرب.

(4) دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3، ص 79. رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة، (د.ت)، ص384.

(5) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م، ج3، ص48. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج3، ص2.

. P130.140 ، 1947، R. Menendez Pidal: La Espana del Cid Madrid

(6) ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص180. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، دول الطوائف، ص394.

في أول الأمر تحالف الأمير عبد الله مع الفونس ضد المعتمد سنة 466هـ/1074م، وفي السنة التي يليها 467هـ/1075م قدم الفونس السادس إلى مدينة إشبيلية ومعه سفارة كبيرة من كبار رجال دولته منهم وزيره ششند ومن ثم أتجه إلى مدينة غرناطة ليستلم الجزية المتفق عليها مع ابن بلقين؛ إلا أن عبد الله بن بلقين رفض دفعها متحججاً بعدم استطاعته على ذلك؛ فلما علم المعتمد بن عباد بسر الخلاف القائم بين الفونس السادس وابن بلقين حاكم مدينة غرناطة أرسل وزيره ابن عمار ليعقد مع الفونس معاهدة تنص على الآتي:

- التعاون معه في فتح مدينة غرناطة.
 - أن تكون المدينة للمعتمد بن عباد وأن يكون سائر ما فيها من أملاك وأموال للفونس السادس.
 - أن يدفع المعتمد للفونس السادس جزية كبيرة مقدارها خمسين ألف دينار.
 - تعهد الفونس السادس من جانبه بتقديم العون العسكري للمعتمد ضد أعدائه من ملوك الطوائف.
- وبعد تلك المعاهدة بدأ الفونس السادس ومعه جيش المعتمد بن عباد بمهاجمة مدينة غرناطة لكنهم لم يستطيعوا السيطرة عليها نظراً لحصانتها، ومن ثم رأى عبد الله بن بلقين أن يتفاهم مع الفونس السادس من جديد، وذهب على رأس سفارة إليه، وأسفرت تلك السفارة بتعهد عبد الله بن بلقين بأن يؤدي جزية سنوية مقدارها عشرة آلاف مثقال من الذهب، وأن يُسلم له بعض الحصون الواقعة غربي مدينة جيان مقابل حمايته، فوافق ابن بلقين على تلك المعاهدة، وكان ذلك في سنة 467هـ/1075، كما عمل الفونس السادس على معاهدة صلح وسلام بين المعتمد بن عباد وبين عبد الله بن بلقين في تلك الفترة، وتنص تلك المعاهدة أن لا يتعدى أي منهما على أرض الآخر، وأن تبقى إشبيلية ومدينة غرناطة في أمن وسلام مقابل ذلك أن يقدم كل من المعتمد بن عباد وعبد الله بن بلقين جزية سنوية للفونس السادس مقدارها عشرة آلاف مثقال من الذهب، وأن لا يجب على الطرفين تأخير دفع الجزية للسفير الذي سوف يبعثه الفونس لقبض الأموال منهما.⁽⁷⁾
- يتضح أن الفونس السادس ملك قشتالة حاول أن يظهر أمام المسلمين بأنه حريص على عقد معاهدة سلام من خلال عمل الصلح بين المعتمد بن عباد وابن بلقين لكنه في الحقيقة عكس ذلك.

(7) ابن بلقين، عبد الله بن زيري (469/483هـ): مذكرات الأمير عبد الله والمسمى بكتاب التبيان، تحقيق/ ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1955م، ص72-76. أسعد حومد: محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، 1988م، ص99. سليمان أحمد حوالة: بنو عباد في إشبيلية (484/414هـ/1032-1091م)، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز بن سعود، السعودية، 1980م، ص98.

3 معاهدة المعتمد بن عباد مع رامون برنجير الثاني (Ramon Berenguer II)

(468-489هـ/1076-1092م) حاكم مدينة برشلونة:

أراد المعتمد بن عباد أن يوسع حكم مملكته على حساب حدود جيرانه الضعاف من أمراء ملوك الطوائف؛ حيث أرسل بسفارة سنة 471هـ/1078م كان يترأسها وزيره ابن عمار إلى الكونت رامون برنجير الثاني حاكم مدينة برشلونة لكي يعقد معه معاهدة تقتضي بمساعدته في السيطرة على مدينة مرسية، وانتزاعها من يد الطاهريين إذ كان يحكمها أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن طاهر (455-471هـ/1063-1078م) مقابل دفع المعتمد عشرة آلاف مثقال من الذهب، وأن يتبادل الطرفان الرهائن من أجل التنفيذ، وأتفق على ذلك، وما أن وصلت قوات رامون الثاني بالقرب من مدينة مرسية تأخر المعتمد بن عباد في دفع المبلغ المتفق عليه، فغضب رامون منه، وعمل على سحب قواته، ولم يترك رهينة المعتمد إلا بعد دفع المبلغ المتفق عليه في تلك المعاهدة دون مساعدة المعتمد بن عباد(8)، وبعد أن سيطر المعتمد على مدينة مرسية سنة 471هـ/1078م بعث بسفارة في تلك الفترة على رأسها وزيره ابن عمار إلى الفونس السادس يخبره بما تم ويؤكد ولائه له، وفي إنشاء لقاء الفونس بابن عمار تم الاتفاق بينهم على دعمه للمعتمد بن عباد ضد أمراء ملوك الطوائف مقابل دفع الجزية السنوية له كذلك طلب منه مد يد العون في هجوم المعتمد بن عباد على أراضي مدينة طليطلة مقابل تسليم الفونس البعض من الحصون المجاورة له والقريبة من قشتالة.(9)

ومن خلال تلك المعاهدة يتضح أن المعتمد بن عباد لم يقتصر تحالفه مع الفونس السادس فحسب بل تحالف مع رامون برنجير حاكم مدينة برشلونة ضد إخوانه المسلمين من أمراء ملوك الطوائف.

4 سفارة الفونس السادس برأسة السيد القمبيطور إلى المعتمد بن عباد:

حرص الفونس السادس على أن يرسل كل سنة أحد سفرائه لاستلام الجزية المتفق عليها سابقاً مع المعتمد بن عباد ملك إشبيلية، وفي سنة 472هـ/1079م أرسل الفونس السيد القمبيطور (El cid Campeador واسمه رودريجو أما تلقبه بالسيد فقد أطلقها عليه المسلمون الذين كان يخدم بينهم ويحارب معهم وكلمة قمبيطور هي تحريف لـ"الكمبيادور" ومعناها المحارب الباسل نظراً لشجاعته وجراته، وكان على رأس تلك السفارة لاستلام الجزية منه وفقاً للمعاهدة الموقعة بينهما، وأثناء وصول القمبيطور لقي قوات عبد الله بن بلقين مهاجم أراضي مدينة إشبيلية، فطلب منهم السيد الكف عن هذا العدوان كون إشبيلية أصدقاء للفونس السادس لكنهم لم يستجيبوا إلى طلبه؛ فقاتلهم واستطاع

(8) ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله القاضي: الحلة السرياء، تحقيق/ حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1963م، ج2، ص145-146. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد (ت 776هـ/1374م): أعمال الأعلام في من بوب قبل الاحتلام

من ملوك الإسلام، تحقيق/ بروفنسال، دار مكتشف، بيروت، ط(2)، 1956م، ج2، ص155-160.

(9) يوسف أشباح: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة/ محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ج1، ص55.

أن يوقع بهم الهزيمة فسر المعتمد بما قام به، واستقبله وأعطاه أموالاً كثيرة، وهدايا، وتحف ثمينة، ومن ثم أعطاه الجزية، وعاد السيد القمبيطور محملاً بالهدايا ممّا خف وزنه وغلي ثمنه إلى الفونس⁽¹⁰⁾.

5- سفارة الفونس السادس برئاسة ابن ساليب اليهودي إلى المعتمد بن عباد:

طراً تغير واضح في نمط السفارات بين الفونس السادس، والمعتمد بن عباد إذ تحولت من سفارة سلمية قائمة على التعاون إلى سفارات عدائية، ويظهر ذلك في السفارة التي أرسلها الفونس إلى المعتمد بن عباد، والذي كان يرأسها ساليب اليهودي وزير الفونس، وكما هو معروف أن معظم اليهود كانوا يشتغلون بالتجارة ليس هذا فحسب بل كانوا يعملون مترجمين ووزراء وسفراء؛ حيث قاموا بدور السفراء بين الممالك النصرانية، والدولة الإسلامية في الأندلس، فكانت سفارة الفونس إلى المعتمد بن عباد سنة 478هـ/1085م، أعقاب سقوط مدينة طليطلة بيده لكي يستلم منه الجزية؛ حيث عسكر بجنوده خارج مدينة إشبيلية؛ عندئذ وجه إليه المعتمد بن عباد المال مع بعض شيوخ المدينة منهم وزيره ابن زيدون القرطبي كان شاعراً، وكان يعمل سفيراً مع أبو الوليد محمد بن جهور حاكم مدينة قرطبة، انتقل من قرطبة إلى المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية سنة (441هـ/1049م)، وكان يعشق ولادة بنت المستكفي، ولما سلموا لابن ساليب المال، وسبائك الذهب رفض استلامها بحجة أنها من عيار زائف مما أدى إلى توتر العلاقات بينهما؛ حيث خرج ابن ساليب عن اللياقة المتبعة في العلاقات، وأغلظ على المعتمد بقوله: "لا تعتقد أنني بسيطاً لا أقبل مثل هذه العملة الزائفة، فأنا لا آخذ إلا من الذهب الصافي"⁽¹¹⁾، وتوجد رواية أخرى أن ابن ساليب طلب من المعتمد بأن يسمح لزوجته الفونس أن تلد في جامعة قرطبة وإلا سوف يحتل الفونس أراضي إشبيلية⁽¹²⁾، ولما تعنت ابن ساليب في طلبه بعث المعتمد البعض من رجاله ليقبضوا عليه ومن معه من الفرسان، وأمر المعتمد بقتل ابن ساليب وصلبه، وألقي بالفرسان في السجن عندها قرر الفونس محاربة المعتمد بن عباد⁽¹³⁾.

(10) ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص 181. عنان: دولة الإسلام، ج 3، ص 72. رجب: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأشبانيا النصرانية، ص 388. فضيل بو الصوف: العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وأشبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، كلية العلوم، قسم التاريخ، الجزائر، 2010م، ص 81.

(11) الأمير عبد الله: التبيان، ص 102.101. للمزيد انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 245.244.

(12) ابن خلكان: أبي العباس شمس الدين أبو العباس (681.608هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م، ج 1، ص 288. المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج 4، ص 358.

(13) الأمير عبد الله: التبيان، ص 101. مجهول: الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامه، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1979م، ص 25-45.

نستشف من تلك السفارة أن العلاقة السلمية التي كانت بين الفونس السادس، والمعتمد بن عباد تصدعت بسبب ما ذكر سابقاً؛ حيث أراد الفونس الانتقام من المعتمد بن عباد بسبب خروجه عن طاعته وقتله لسفيره ابن ساليب.

وبعد أن تجرأ المعتمد بن عباد على قتل ساليب اليهودي سفير الفونس سنة 478هـ/1085م، وأعقاب سقوط مدينة طليطلة أصابه الندم، وأيقن أنه أخطأ، وتسرع في قتله فأشار عليه وزراؤه بأن يُرسل وفداً في تلك الفترة إلى الفونس السادس لمصالحته عندها أرسل سفيره اليهودي الذي يعرف بابن مشعل إليه محملاً بالهدايا، والذهب للملاطفة، وأن يطلب منه عفو، وأن يُفسر له سبب تصرف المعتمد مع ابن ساليب؛ لكن الفونس رفض العفو عنه قائلاً له: "كيف أترك قومًا مجانيين تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم، وملوكهم، وأمرائهم، المعتضد، والمعتمد، والمعتصم، والمتوكل، والمستعين، والمقتدر، والأمين، والمأمون، وكل واحد منهم لا يسأل في الذب عن نفسه شيئاً، ولا يرفع عن رعيته شيئاً ولا حيفاً، وقد أظهروا الفسوق والعصيان، واعتكفوا على المغاني والعيان، وكيف يحل لبشر أن يقر على رعيته أحداً، وأن يدعها بين أيديهم سدى". (14)

6- سفارات ومعاهدات ملوك غرناطة مع ملوك النصارى:

تولى حكم مدينة غرناطة بني زيري الصنهاجيين، وكان على رأسهم الأمير عبد الله بن بلقين؛ حيث كان بينه وبين المعتمد ابن عباد نزاع، وعلى أثر لك تدخل الفونس السادس بينهما كما ذكر الباحث مسبقاً إذ عمل الوزير سماجة الصنهاجي الذي يُنسب إلى قبيلة صنهاجة، وكان مربى عبد الله بن بلقين ووزيره ومخططاً لحكمه الذي عمل على نصح الأمير عبد الله بن بلقين بالتحالف مع الفونس السادس ملك قشتالة مثله مثل بقية ملوك الطوائف، وعندئذ بعث الأمير عبد الله بسفارة إلى الفونس السادس يطلب منه مساعدته ضد المعتمد بن عباد مقابل دفع جزية سنوية مقدارها عشرون ألف دينار، وبعد توقيع المعاهدة معه أمده الفونس ببعض قواته سنة 466هـ/1074م. (15)

(14) مجهول: الحل الموشية، ص 41. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 89.

(15) الأمير عبد الله: التبيان، ص 69-71. ابن خاقان: أبي النصر الفتح بن محمد القيسي الأشبيلي (ت 529هـ/1134م): مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق/ محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، ج 1، ص 51-53.

7- السفارات والمعاهدات في عهد ملوك بني ذي النون مع ملوك النصارى:

تمت سفارات ومعاهدات بين بني ذي النون حكام مدينة طليطلة مع ملوك النصارى مثلهم مثل باقي ملوك الطوائف نظراً لضعفهم والصراع فيما بينهم ومنها:

أ- معاهدة يحيى بن ذي النون مع فرديناند الأول ملك قشتالة ضد محمد بن هود:

قام صراع بين بني ذي نون حكام مدينة طليطلة، وبني هود الجذاميين حكام مدينة سرقسطة، وسبب ذلك يرجع إلى هجوم سليمان بن محمد بن هود الجذامي الملقب بالمستعين، والذي حكم من سنة (431. 438هـ)، وكان يعتبر من كبار الجند بالشر الأعلى وسيطر على مدينتي سرقسطة ولاردة، وقام بمهاجمة حدود مدينة طليطلة التابعة لبني ذي النون، فما كان من يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (467.435هـ/1074.1043م) حاكم مدينة طليطلة إلا أن أرسل بسفارة في السنة ذاتها إلى فرديناند الأول ملك قشتالة يطلب منه مساعدته ضد سليمان بن هود حاكم مدينة سرقسطة، وعقد معه معاهدة تنص على الاعتراف له بالطاعة، وأن يؤدي له الجزية؛ فوافق فرديناند، وأرسل قواته إلى أراضي ابن هود فدمرها، فاضطر المستعين بن هود أن ينهج نفس سياسة يحيى بن ذي النون حيث بعث بسفارة في سنة (437هـ/1045م) إلى فرديناند الأول ملك قشتالة، وأرسل له أموالاً، وتحفاً، وهدايا كثيرة، وعقد معه معاهدة معترفاً به، وأن يدفع الجزية مقابل التخلي عن يحيى بن ذي النون، وأن يهاجم معه أراضي طليطلة فوافق فرديناند على ذلك، وعمل على مهاجمة أراضي مدينة طليطلة وأريافها حتى لجأ سكانها إلى طلب الصلح من سليمان المستعين فوافق على ذلك لكنه غدر بهم، واستولى على مدينة سالم التابعة لإحدى ثغور مدينة طليطلة؛ مما جعل يحيى المأمون بن ذي النون أن يتوجه بنفسه على رأس سفارة إلى غرسية بن شانجة الثالث ملك نبرة (426-446هـ / 1035-1054م) لكي يتحالف معه ضد بني هود مقابل دفع الجزية له، فوافق غرسية على ذلك، وهاجم بقواته أراضي بني هود، وافتتح قلعة قلهرة سنة (437هـ/1045م)، فعاد فرديناند لشن غاراته على أراضي مدينة طليطلة داعماً لبني هود⁽¹⁶⁾، فاشتد البلاء بأهل طليطلة وزاد التناحر بين المسلمين مما أعطى الفرصة لملوك النصارى ليقوموا بتخريب أراضي المسلمين، ونهب أموالهم كل هذا الأمر جعل أهل مدينة طليطلة يذهبون إلى فرديناند ملك قشتالة في تلك الفترة لطلب الصلح وعقد معاهدة معه مقابل أن يدفعوا له المال ويرحل عنهم، لكنه اشترط عليهم شروطاً من الصعب تنفيذها ورفض السلم معهم قائلاً لهم: "أننا نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديماً في أول أمركم فقد سكنتموها ما قضي لكم، وقد نصرنا الله عليكم برداءتكم فارحلوا إلى عدوتكم (يقصد بلاد المغرب) واتركوا لنا بلادنا فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم، ولن

(16) ابن عذاري: البيان، ج3، ص278-281. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص18، 68.

نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم⁽¹⁷⁾، واستمر ذلك الصراع بينهما حتى توفي المستعين بن هود (438هـ/1046م).

يتضح من خلال تلك المعاهدة التي عقدها بني هود والمأمون بن ذي النون مع ملوك النصارى أنها أعطت الفرصة لهم في تخريب أراضي المسلمين واسترداد أراضيهم من المسلمين.

ب - معاهدة الأرقم ذي النون مع فرديناند ملك قشتالة ضد ابن المأمون:

يُعد الأرقم عمّاً للمأمون بني ذي النون، وكان أديباً لامعاً، فحسده ابن أخيه المأمون على ذلك، وأظهر له البغض، فلما أحسّ الأرقم بذلك فرّ إلى الثغر الأعلى ثم أتجه إلى فرديناند ملك قشتالة، وحليف بني هود الذين كانوا يعتبرون أعداء لابن أخيه المأمون، وطلب منه حمايته من ابن أخيه، وأثناء مهاجمته ملك قشتالة لطليطلة كان الأرقم مسانداً له لينتقم من ابن أخيه المأمون، وكان ذلك في سنة (437هـ/1045م)، ولكنه مع مرور الأيام استطاع المأمون أن يفتن على عمه الأرقم عند فرديناند بأنه جاسوس لابن أخيه المأمون فقتله فرديناند.⁽¹⁸⁾

ومن خلال ما سبق أتضح للباحث مدى البغض، والصراع الذي نشأ بين أفراد الأسرة الواحدة بسبب النزاع على الحكم، أو حسدٍ ومع ذلك أن الصراع في تلك الفترة توسعت مظاهره.

ج - معاهدة القادر بالله بن ذي النون مع الفونس السادس في تسليم مدينة طليطلة له:

توالت الاضطرابات في مدينة طليطلة، وتزايدت الأطماع في امتلاكها بعد موت المأمون بن ذي النون؛ حيث قام ابن عباد حاكم مدينة إشبيلية بشن هجومٍ على مدينة طليطلة من جهة الغرب، وابن هود حاكم مدينة سرقسطة كان يهاجمها من جهة الشرق، فأيقن القادر بالله يحيى بن إسماعيل بن المأمون بن ذي النون الذي تولى حكم طليطلة بعد جده المأمون سنة 467هـ/1074م (467هـ/478هـ) بضعفه، وعدم قدرته على مقاومة هؤلاء والدفاع عن مملكته، ولا مخرج أمامه إلا أن يقوم بتسليم مدينة طليطلة إلى الفونس السادس ملك مملكة قشتالة، فأرسل إليه القادر رسولاً حاملاً معه كتاب بموافقة بالتخلي له عن المدينة، وما يتبعها من حصون مقابل مساعدة الفونس السادس له على أخذ مدينة بلنسية من حاكمها أبو عمر عثمان بن عبد العزيز (478هـ - 485هـ)، وأقطارها عوضاً عن مدينة طليطلة، ورغم موافقة القادر على دخول المدينة إلا أن الفونس السادس لم يوافق، وقام بمحاصرتها ليدل أهلها، وضيق الخناق عليهم، ودام حصار الفونس لهم مدة تسعة أشهر، فقدم إلى

(17) ابن عذاري: البيان، ج3، ص382. شكيب أرسلان: الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، 1417هـ/1997م، ج2، ص442.

(18) ابن عذاري: البيان، ج3، ص281. ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى المغربي (ت562هـ/1166م): المغرب في حلي المغرب، تحقيق/ شوقي ضيف، ط⁽²⁾، دار المعارف، القاهرة، 1964م ج2، ص14.

ألفونس السادس وفداً من أشرف مدينة طليطلة في نفس عام سقوطها 478هـ/1085م بيد الفونس، وعملوا على مساومته، وإغرائه بالمال والهدايا لكنه رفض أن يتخلى عن المدينة، وعمل على الاستهزاء بهم، ورفض قبول هداياهم راكلاً إياها بقدمه، فعاد الوفد إلى مدينة طليطلة متيقنين بسقوطها⁽¹⁹⁾، ثم عاد الوفد بعد ثلاثة أيام من مغادرتهم له موافقين على تسليم المدينة، ثم عقدوا معاهدة مع الفونس تنص على الآتي:

- تأمين المسلمين على أنفسهم وأموالهم.
 - السماح لمن أراد أن يهاجر من المدينة، ومن أراد أن يبقى فعليه دفع الجزية على عدد ما عنده من الأشخاص.
 - كل من يرجع بعد الهجرة إلى المدينة فله عقاره دون أدنى معارضة.
 - أن يقدم أهل طليطلة عدداً من أعيانهم كرهائن.
 - أن يبقى المسجد الجامع في حوزة المسلمين.
 - أن يؤدي المسلمون ما كانوا يؤديونه من جزية وضرائب للفونس السادس ملك قشتالة.
 - أن يتعهد الفونس للقادر بأن يساعده على أن يكون ملكاً على بلنسية بدلاً من طليطلة.
- وكانت هذه الاتفاقية سنة (478هـ/1085م)، وتظاهر الفونس بقبول الشروط لكنه بعد أسبوعين دخل المدينة ونزل في قصورها وعين ششند حاكماً عليها⁽²⁰⁾.
- يتضح من هذه المعاهدة ضعف حكم القادر بالله ذي نون، وتواطؤه مع الفونس السادس وعقد معاهدات على دفع الجزية، وأيضا تخاذل ملوك الطوائف، وصراعهم المستمر فيما بينهم.

8- سفارة ملوك الطوائف إلى الفونس السادس:

أثناء سيطر الفونس السادس على مدينة طليطلة سنة (478هـ/1085م) بعث بعدة سفارات إلى جميع ملوك الطوائف، وكانوا حاملين كتب، ورسائل لهم، وأقسم بأنه سوف يقضي عليهم، ولن يعفي عن أحد منهم إلا من دخل في خدمته، وأصبح من رعيته، وتحت طاعته، وكانت النتيجة من تلك السفارات التي بعثها أن ملوك الطوائف أتوا إليه خاضعين أذلة، وأقبلوا عليه مع كبار الوفود مهنتين ومباركين له بالنصر، ومن تلك السفارات سفارة عبد الملك بن هذيل بن رزين، وكان يلقب بحسام الدولة كذلك كان يلقب ذو الرياستين، وهو من الألقاب الدولة العباسية، وهو أحد ملوك الطوائف الذين استبدوا بحكم مدينة شتمرية؛ حيث ذهب بنفسه على رأس سفارة يهني الفونس السادس

(19) ابن بسم: الذخيرة، ق4، ج1، ص130. ابن الكريبوس: تاريخ الأندلس، ص84.

(20) ابن الكريبوس: تاريخ الأندلس، ص78-85. الأمير عبد الله: التبيان، ص77.

بالنصر حاملاً معه هدية ثمينة فأعطاه الفونس بدلاً عنها قرداً، فصار عبد الملك يفتخر بين ملوك الطوائف بذلك القرد الذي أهداه الفونس معتقداً بأنه نال رضا (21). ومن خلال تلك السفارة تم الاستنتاج أن هناك خنوع وخضوع لملوك الطوائف، ودفعهم للجزية عنوةً للفونس السادس لدرجة أن بلغت به السخرية أهدى عبد الملك بن رزين قرد، وكل ذلك بسبب ضعفهم، وصراهم المستمر فيما بينهم.

9- سفارة ومعاهدة حاكم بلنسية مع الفونس السادس ضد حاكم سرقسطة:

كان أبو بكر بن عبد العزيز بن عامر (457-467هـ/1065-1085م) وزيراً للمأمون بن ذي النون؛ والذي عينه على حكم مدينة بلنسية، وبعد وفاة المأمون، وتولى من بعده ابنه القادر بالله الذي كان ضعيفاً حينها استقل أبو بكر أحمد بن عبد العزيز بحكمها سنة (467هـ/1075م)، لكنه في تلك الفترة واجه جديد من طرف المقتدر بن هود حاكم مدينة سرقسطة، عندئذ بعث أبو بكر بسفارة إلى الفونس السادس طالباً منه حمايته مقابل الاعتراف بطاعته ودفع الجزية له فوافق الفونس على ذلك. (22) ويتضح لنا أن الوزير أبا بكر بن عبد العزيز بن عامر أستغل ضعف يحيى القادر الذي خلف جدّه المأمون بن ذي النون أنه استقل بمدينة بلنسية، ونصب نفسه حاكماً عليها، كما أنه في الوقت نفسه يلاحظ أنه هذا حذو ملوك الطوائف في الخضوع للفونس السادس، والتحالف معه ضد أعدائه.

10- معاهدة القادر بن ذي النون مع الفونس السادس للاستيلاء على مدينة بلنسية:

بعد وفاة أبو بكر أحمد بن عبد العزيز والي مدينة بلنسية خلفه ابنه أبو عمر عثمان بن أبي بكر سنة 478هـ/1085م نفس السنة، والتي سقطت فيها مدينة طليطلة بيد الفونس السادس إذ وعد القادر باسترداد مدينة بلنسية له؛ حيث ذهب القادر باتجاه مدينة بلنسية، ومعه فرقة من جنود النصارى بقيادة البرهانس ALvar Hanez هم ابن عم السيد القمبيطور، وكان واحداً من كبار فرسان الفونس السادس، وتم خلع عثمان بن أبي بكر ودخلها القادر سنة (478هـ/1086م)، لكن القادر أثقل على الناس بالمؤن، والمغارم، والضرائب كذلك عاث النصارى في المدينة وضواحيها، وكان البرهانس هو الحاكم الفعلي للمدينة حتى اشتد السخط على القادر ومن معه من النصارى، وخاف الناس أن يسلمها القادر للفونس كما سلم مدينة طليطلة، وفي سنة (481هـ/1089م) قدم المنذر بن يحيى بن مطرف بن عبد الرحمن بن هود حاكم مدينة لاردة وطرطوشة للاستيلاء على مدينة بلنسية من القادر، فأستغاث

(21) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص898. ابن عذاري: البيان، ج3، ص310-311.

(22) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص75-77. أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين (ت732هـ/1320م): تاريخ أبو الفداء، طبعة القسطنطينية، 1286، ج2، ص157-159. عبد الكريم التواتي: مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، نشر مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، 1967م، ص265-266.

القادر بالفونس السادس حليفه، كما بعث بسفارة أخرى إلى المستعين بن هود حاكم مدينة سرقسطة، وخصم المنذر بن هود يستغيث به قلبى المستعين الاستغاثة، وأتى إلى مدينة بلنسية في نفس الفترة من سنة (481هـ/1089م)، ومعه حليفة القمبيطور في ثلاثة آلاف فارس، وعقدت معاهدة بين المستعين وحليفه القمبيطور عند دخول مدينة بلنسية والسيطرة عليها على أن تكون الغنائم كلها من نصيب القمبيطور، والمدينة من نصيب المستعين بن هود⁽²³⁾، وعندما علم المنذر بن هود بقدوم المستعين انسحب وعاد إلى مدينة طرطوشة بينما القادر عمل على ضربهم ببعضهم البعض، وأرسل سفارة إلى السيد القمبيطور في تلك الفترة محملة إليه بالأموال، والهدايا، وتحالف معه سراً لكن المستعين بن هود علم بخيانة القمبيطور له، ومماطلته في مهاجمة القادر، والاستيلاء على مدينة بلنسية، وفي الوقت نفسه بعث السيد القمبيطور برسالة إلى الفونس السادس بالسر يخبره أنه تابعاً له، ومن ثم ذهب بنفسه إلى الفونس، وعقد معه معاهدة تفيد بأنه يكون تابعاً للفونس، وكل الأراضي، والقلاع، والحصون التي يسيطر عليها القمبيطور من المسلمين تعتبر خاصة له، ولما شعر المستعين بن هود بخيانة القمبيطور له عندئذ أرسل بسفارة في تلك الفترة إلى كونت برشلونة برنجير الثاني (468-489هـ/1076-1092) طالباً التحالف معه ضد القادر والقمبيطور وقدم المستعين للكونت أموالاً كثيرة فوافق على ذلك، ودارت بين الكونت، وبرنجير، وبين السيد القمبيطور معركة على أسوار مدينة بلنسية انتهت بهزيمة كونت برشلونة، ثم عاد بجيشه إلى برشلونة، وأما السيد القمبيطور فقد فرض سيطرته، ومد نفوذه، وتعهد له القادر بدفع الجزية مائة ألف دينار سنوياً مقابل حمايته.⁽²⁴⁾

(23) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 98-99. ابن القطان، أبي الحسن علي بن محمد الكتامي المراكشي (ت 628هـ/1231م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق/ محمود مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ج 6، ص 706.

(24) الأمير عبد الله: التبيان، ص 104-105. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص 1109.

11- سفارات ومعاهدات حكام مملكة سرقسطة مع ملوك النصارى:

تُعد مملكة سرقسطة من أعظم ممالك الطوائف في الأندلس اتساعاً وموقعها الجغرافي؛ حيث كانت تشمل مدناً كثيرة منها مدينة دورقة، وبربشتر، ووشقة، ومدينة سالم وحصون، وقلع مثل قلعة أيوب، وقد تولى حكمها من ملوك الطوائف بني تجيب، ومن بعدهم بني هود⁽²⁵⁾، وسوف نعدد تلك السفارات مع ملوك النصارى منها:

أ- معاهدة المنذر التجيبي حاكم سرقسطة مع ملوك النصارى:

عمل المنذر بن يحيى بن مطرف التجيبي (403-412هـ/1013-1021م) على تأمين مملكته من خلال توثيق الصداقة بينه، وبين ملوك النصارى المجاورين له منهم رامون بوريل Raymond أمير برشلونة كذلك مع شانجة الثالث ملك نبرة (391-426هـ/1000-1035م)، وأجتهد المنذر في استرضائهم بالهدايا، والتحف الفاخرة ليتقرب. ويتودد أكثر من ملوك النصارى؛ لدرجة أنه جهز حفلاً في قصره بمدينة سرقسطة عند عقد المصاهرة بين شانجة ملك نبرة ورامون بوريل ملك برشلونة وحضر الحفل الكثير من الفقهاء المسلمين، والقساوسة أثناء فترة حكمه، ورغم معارضة أهل مدينة سرقسطة لسياسته، وتقربه من ملوك النصارى إلا أنه استطاع أن يحافظ على أملاك مملكته، وأن لا يفرض في أراضيه، والحصون، والقلع التابعة له، وأن يحل الهدوء، والإعمار، وبسبب سياسته المرنة حافظ على مملكته حتى مات المنذر سنة 412هـ/1021م، وخلفه ابنه يحيى بن المنذر الملقب بن المظفر (412-431هـ/1021-1039م)؛ حيث لم يتبع سياسية والده، ولم يعقد معاهدة صداقة ملوك النصارى، كما بدأ رامون بريل حاكم مدينة برشلونة بمهاجمة أراضيه، وتنازل له عن الكثير من الحصون، والقلع، فهاجموه ملوك النصارى، وقضى على حكم بني تجيب أسرة بني هود⁽²⁶⁾.

يتضح من خلال ما تم ذكره أن المنذر اتخذ سياسية اللين مع ملوك النصارى ليس لأنه كان قوي، ولكنه مثل بقية ملوك الطوائف كان خاضعاً للملوك النصارى؛ حيث عقد معهم معاهدات، وصداقات من خلالها قدم لهم المال الكثير، والهدايا كي يحافظ على أراضيه من بطشهم، ومقابل حمايته.

(25) الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله (ت622هـ/1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط(4) 1995م، ج3، ص2132. المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم/ محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، 1383هـ، ص124.

(26) ابن بسام: الذخيرة، ق1، ج1، ص152-154. ابن حيان، أبو مروان بن حيان بن خلف القرطبي (ت469هـ/1507م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق/ محمود مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م، ج5، ص77.

ب - معاهد أحمد المقتدر حاكم سرقسطة مع ملوك النصارى:

قسم المستعين بن هود قبل وفاته مملكته بين أبنائه لكن ابنه أحمد بن سليمان بن هود الملقب بالمقتدر (438-474هـ/1046-1081م) دخل مع إخوته في صراع، وسيطر عليهم ما عدا أخيه يوسف صاحب مدينة لاردة، والذي تلقب بالمظفر فقد صمد بوجه المقتدر، وفلح في أن يحد من أطماعه، وأثناء حصار المقتدر لمدينة تطيلة حل بأهلها الجوع، والغلاء، واستجدوا بيوسف مستغيثين به لذا جمع لهم المؤن، والأطعمة، والمال لكنه خاف أن تمر القافلة من أراض أخيه أحمد المقتدر بسرقسطة، ويستولي عليها، وعندئذ أرسل بسفارة إلى راميرو الأول وتسميه المصادر العربية ردمير ملك أرغون (435-456هـ/1043-1064م) ليعقد معه معاهدة يطلب منه السماح للقافلة بالمرور من بلاده إلى مدينة تطيلة مقابل إعطائه الجزية والهدايا الثمينة فوافق الملك راميرو على تلك الاتفاقية، ولما علم أحمد المقتدر بتلك المعاهدة بعث بسفارة في السر إلى ملك الأرغون راميرو، وعقد معه اتفاقية محتواها أن يقوم راميرو بالهجوم على تلك القافلة أثناء مرورها من أراضيه مقابل أن يدفع له أضعاف المبلغ التي سوف يدفعه أخوه يوسف لراميرو، فوافق على ذلك، وتم الهجوم على القافلة، فكان لتلك المعاهدة أثر كبير؛ حيث ضعف يوسف بن سليمان المظفر أمام أخوه أحمد المقتدر، وأمام مناصريه بينما المقتدر قوي مركزه، وأستطاع السيطرة على المراكز، وعلى مدينة طرطوشة، والقضاء على حكم الصقالبة، وكان ذلك في سنة 452هـ/1060م.⁽²⁷⁾

ج - سفارات ومعاهدات أبناء أحمد المقتدر مع ملوك النصارى ضد بعضهم البعض:

قبل أن يتوفى أحمد المقتدر سنة 457هـ/1082م، وقع بنفس الخطأ الذي وقع فيه والده سليمان بن هود حيث؛ قام بتقسيم مملكته بين ولديه يوسف المؤتمن (478.475هـ/1085.1082م)، وأخوه المنذر عماد الدولة بن هود (483.475هـ/1090.1082م) حيث؛ حصل بينهم انقسام، ودارت بينهم حرب أهلية مما أدى إلى استعانة كل منهم بملوك النصارى، فقد استعان يوسف المؤتمن بالسيد القمبيطور حليف والده من قبل، وأما المنذر، فقد تحالف مع آلد أعداء القمبيطور، وهو شانجة راميريز ملك أرغونة (455-487هـ/1094م)، وأخيه رامون برنجير الثاني أمير برشلونة (468-745هـ/1076-1082م)، ووقعوا معهم معاهدات في مساعداتهم مقابل دفعهم للجزية، والاعتراف بطاعتهم، ودارت بينهم معركة بالقرب من مدينة لاردة هزم فيها المنذر عماد الدولة، وتم أسر أمير برشلونة رامون برنجير في تلك المعركة سنة (475هـ/1082م)، ورجع يوسف المؤتمن منتصراً على أخيه.⁽²⁸⁾

(27) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص80. الصديقي، رزق الله (ت بعد 1326هـ): تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، 1907م، ج2، ص77.

(28) الأمير عبد الله: التبيان، ص77.79. ابن عذاري: البيان، ج3، ص323.

ومن خلال ما ذكر نلاحظ أن المقتدر أحمد بن هود صار على نفس الخطأ الذي ارتكبه والده سليمان بن هود عندما قام بتقسيم مملكته بين ولديه اللذان تنازعا على الحكم، وخرجا ملوك النصارى بذلك الانقسام، والصراع الذي دار بينهما.

هـ . معاهدة أحمد المستعين مع الفونس السادس ضد شانجة بن رامير ملك أرغونة:

بعد وفاة يوسف المؤتمن سنة 478هـ/1085م في نفس العام التي سقطت فيه مدينة طليطلة بيد الفونس فخلفه ابنه الملقب بالمستعين بالله أحمد بن يوسف المؤتمن (478-503هـ/1085-1109م) على حكم سرقسطة إذ واجه خطر جديد بعد فترة من حكمه، وهو استيلاء بدرو الأول بن شانجة ملك أرجون، وهو ابن شانجة الذي كان يتطلع إلى حكم مملكة سرقسطة (Pedro I)، والذي حكم من سنة (487.498هـ/1104.1114م) مما جعل المستعين يبعث بسفارة في تلك الفترة إلى الفونس السادس ملك قشتالة يطلب منه مساعدته مقابل دفع الجزية له، وتم الاتفاق بينهم فوافق الفونس على ذلك، وبعث له سرية من الجند القشتاليين تحت زعامة غرسية أورديث Garcia Ordonez قائد قشتالي من أتباع الفونس السادس، ودارت بينهم معركة وبين جيش أرغونة سنة 489هـ/1096م سميت معركة الكرارة انهزم فيها المستعين، ومن معه من القشتاليين، وتم السيطرة على مدينة وشقة ثاني مدينة تابعة لسرقسطة من قبل جيش أرغونة.⁽²⁹⁾

12- سفارات ومعاهدات ملوك بني الأفطس مع ملوك النصارى:

بدأت السفارات والمعاهدات منذ عهد محمد بن الأفطس الملقب بالمظفر (437-461هـ/1045-1068م) مع ملوك النصارى حيث؛ اتجهت أنظار فرديناند إلى مملكة بطليوس مستغلاً إنشغال ابن الأفطس بخصوماته مع ابن عباد في الشرق، ومع ابن ذي النون في الشمال فحاول فرديناند طلب الجزية من ابن الأفطس إلا أنه رفض فسير له فرديناند في سنة (449هـ/1057م) جيشاً ضخماً ليسيطر على مدينة شنترين التابعة لابن الأفطس مما جعله يبعث بسفارة إلى فرديناند في تلك الفترة يطلب منه الهدنة، ووقع معه معاهدة تضمنت بموجبه دفع الجزية سنوياً، ومقدارها خمسة آلاف دينار فوافق الجميع على تلك المعاهدة.⁽³⁰⁾

وبعد وفاة المظفر محمد بن الأفطس سنة (460هـ/1067م) تولي من بعده ابنه يحيى الملقب بالمنصور لكن الأمر لم يدوم له حيث؛ حدث نزاع بينه وبين أخيه عمر المتوكل بن محمد بن الأفطس على الحكم، وتفاقم ذلك النزاع بينهما سنة 461هـ/1068م، فاستغل الفونس السادس ذلك النزاع، وعمل على التفريق بين الأخوين ليس هذا فحسب بل طلب من يحيى بن المنصور أن يزيد في مقدار الجزية

(29) ابن عذاري: البيان، ج3، ص229. المقري: نفع الطيب، ج1، ص206.

(30) ابن عذاري: البيان، ج3، ص238-239. ابن الكريبوس: تاريخ الأندلس، ص57، هامش رقم(6).

التي كان يؤديها والده المظفر، وكانت تقدر بخمسة آلاف دينار لكنه رفض لعدم قدرته على دفع الزيادة مما جعل الفونس يشن حملات على مدينة بطليوس⁽³¹⁾، أما أخوة عمر المتوكل على الله فقد عقد معاهدة مع المعتمد بن عباد ضد أخيه يحيى، وعندئذ بعث يحيى بن المظفر بسفارة إلى حاكم مدينة طليطلة المأمون يحيى بن ذي النون يطلب منه العون، والمساعدة ضد أخيه عمر لكن الأخوين بعدما أدركا خطر الفونس توقفوا عن النزاع وعقدا بينهما هدنة.⁽³²⁾

(31) ابن بسام: الذخيرة، ق 2، م 1، ص 650. ابن عذاري: البيان، ج 3، ص 238.

(32) ابن عذاري: البيان، ج 3، ص 238. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد (ت 776هـ/1374م): أعمال الأعلام في من يُوع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق/ بروفنسال، دار مكشوف، بيروت، ط⁽²⁾، 1956م، ص 213.

الخاتمة

ساهمت الصراعات التي حدثت في الأندلس بين ملوك الطوائف مع بعضهم البعض إلى تغيرات في الخارطة الديمغرافية السياسية لبلاد الأندلس من خلال تجزئة الأندلس إلى دويلات مما أضعف قوتها السياسية والاقتصادية، وتبلور هذا الضعف في المعاهدات، والاتفاقات التي أبرمت بينهم، وبين ملوك الممالك المسيحية التي استغلت هذه التجزئة لإضعاف النفوذ الإسلامي في الأندلس سياسياً واقتصادياً، والذي أنتج زيادة النفوذ المسيحي في تلك المناطق، وتهجير الكثير من المسلمين، وسقوط آخر معقلهم في مدينة غرناطة، ومن جهة أخرى استنزاف موارد المسلمين من خلال الجزية التي كانت تفرض من قبل ملوك النصارى على ملوك الطوائف.

وعلاوة على ذلك ساهمت الاتفاقيات، والمعاهدات إلى إحداث تحولات تاريخية حيث أعادة تشكيل بلاد الأندلس حضارياً وأيديولوجياً، ومن هنا كانت الاتفاقيات، والمعاهدات التي أبرمت بين ملوك الطوائف، وملوك الممالك المسيحية ذات نتائج سلبية ساهمت بشكل، أو بآخر إلى سقوط الأندلس.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- (1) ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (595-685هـ / 1199-1260م): الحلة السيرة، تحقيق/ حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1963م.
- (2) ابن بسام، أبو علي الحسن علي الشنتريني (ت460هـ/1067م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق/ إحسان عباس، دار العربية للكتاب، تونس، 1981م.
- (3) ابن بلقين، عبد الله بن زيري (469/483هـ): مذكرات الأمير عبد الله والمسمى بكتاب التبيان، تحقيق/ ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1955م.
- (4) الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله (ت626هـ/1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995م.
- (5) ابن حيان، أبا مروان حيان بن خلف القرطبي (ت469هـ / 1507م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق/ محمود مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م.
- (6) ابن خاقان: أبي النصر الفتح بن محمد القيسي الأشبيلي (ت529هـ/1134م): مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق/ محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.
- (7) الخطيب، لسان الدين أبا عبد الله محمد (ت776هـ/1374م): أعمال الأعلام في من بُويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق/ بروفنسال، دار مكشوف، بيروت، ط⁽²⁾، 1956م.
- (8) ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أبو العباس (ت681.608هـ): وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م.
- (9) ابن سعيد الأندلسي: علي بن موسى المغربي (ت562هـ/1166م): المغرب في حلي المغرب، تحقيق/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط⁽²⁾، 1964م.
- (10) ابن شهيد، أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك الأندلسي (ت426هـ): رسالة التوايع والزوايع، تحقيق/ بطرس البستاني، مكتبة صادر، بيروت 1951م.
- (11) الصدي، رزق الله (ت بعد 1326هـ): تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، 1907م، ج2.
- (12) ابن عذارى، أحمد بن محمد (ت695هـ/1295م): كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، تحقيق/ ج.س. كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
- (13) أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت732هـ/1331م): تاريخ أبو الفداء، طبعة القسطنطينية، 1286م.

- (14) ابن القطان، أبي الحسن علي بن محمد الكتامي المراكشي (ت628هـ/1231م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق/ محمود مكّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
- (15) ابن الكردبوس، أبا مروان عبد الملك (ت681هـ/1282م): تاريخ الأندلس، تحقيق العبادي، صحيفة معهد الدراسات، مدريد، 1965. 1966م.
- (16) مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق/ لويس مولينا، معهد ميغويل آسين، مدريد، 1983م.
- (17) مجهول: الحلل الموشية في ذكر وأخبار المراكشية، تحقيق/ سهيل زكار، عبد القادر زمامه، دار
- (18) المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت647هـ/ 1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم/ محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، 1383هـ.
- (19) المقرئ: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م.

ثانياً/ المراجع:

- (1) أرسلان، شكيب: (1366هـ/1946م): الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، 1417هـ/1997م.
- (2) أسعد حومد: محنة العرب في الأندلس، ط⁽²⁾، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، 1988م.
- (3) دحماني، شريفة محمد عمر: العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربر في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف القرن الخامس الهجري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2006م.
- (4) عبد الحليم، رجب محمد: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة، (د.ت).
- (5) عبد الكريم التواتي: مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، نشر مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، 1967م.
- (6) عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م.

ثالثاً: المراجع المعربة:

- (1) أشباخ، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة/ محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(2) 1996م
- (2) بروفنسال، ليفي: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة/ السيد عبد العزيز سالم، وآخرون، مراجعة/ لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012م.
- (3) دوزي، رينهارت: المسلمون في الأندلس، ترجمة/ حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1995م.
- رينهارت دوزي: ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمه/ كامل الكيلاني، نشر مطبعة عيسى ألبابي الحلبي، القاهرة، 1933.

رابعاً/ رسائل الماجستير والدكتوراه.

- (1) حوالة، سليمان أحمد: بنو عباد في اشبيلية (484.414هـ/1091.1032م)، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز بن سعود، السعودية، 1980م.
- (2) فضيل بو الصوف: العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وأشبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، كلية العلوم، قسم التاريخ، الجزائر، 2010م.

خامساً/ المراجع الاجنبية:

- 1) Andrew Handler، the Zirids of Granada، Miai، 1974.



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية شهرية علمية محكمة

الترقيم الدولي الإلكتروني : ISSN : 2410- 521X

الترقيم الدولي الورقي : ISSN : 2410- 1818

البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2024	2023	2022	2021	2020	العام
0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	0.0366	معامل أرسيف
1.55	1.25	1.73	1.60	1.60	معامل التأثير العربي